المدرسة القادرية الكنتية في الساحل والصحراء
وموقف الاستشراق الفرنسي منها

مجلة دراسات إفريقية

Journal Homepage: http://studies.africansc.iq/
ISSN: 2518- 9271 (Print) ISSN: 2518- 9360 (Online)

المدرسة القادرية الكنتية في الساحل والصحراء وموقف الاستشراق الفرنسي منها

د. المهدي محي الدين
المعهد العالي للدراسات

تاريخ الاستلام:
٢٥/ ١٠/ ٢٠٢٤
تاريخ القبول:
٣٠/ ١٠/ ٢٠٢٤
تاريخ النشر:
١/ ١٢/ ٢٠٢٤

الكلمات المفتاحية:
كنتة، القادرية، التصوف، إفريقيا جنوب الصحراء، القرن العشرين.

المجلد الثاني العدد (١٧)
جمادى الأولى - ١٤٤٦هـ
كانون الأول ٢٠٢٤م

ملخص البحث:

يعتبر القرن الثامن عشر والتاسع عشر، مرحلة مهمة في تاريخ كنتة وبلاد السودان الغربي، حيث تولى الشيخ المختار الكنتي وأحمد البكاي، قيادة الطريقة القادرية والقبيلة، وأسفرت جهودهما عن إعادة هيكلة الطريقة من جديد في فرعين جديدين تابعين لهما، أطلق على الفرع التابع للشيخ المختار القادرية المختارية، في حين عرف الفرع التابع للشيخ أحمد البكاي بالقادرية البكائية، وفي عهد هذين الفرعين البارزين أضحى الكنتيون ذوي مكانة متنفذة في النسيج السياسي والاقتصادي والديني والروحي والاجتماعي على خريطة بلاد البيظان والسودان، وهذه المكانة حاولت فرنسا في القرن العشرين الاستفادة منها في الهيمنة على إفريقيا جنوب الصحراء واستغلال خيراتها الطبيعية والبشرية، لذلك راهنت على التقرب من شيوخ كنتة عن طريق الأسلوب الدبلوماسي والإغراءات حتى تلقى مساعدتهم في تنفيذ مشاريعها الإمبريالية، ويكتسي هذا العمل أهمية علمية، تتجلى في أنه يرصد السياسة الصوفية التي صاغتها فرنسا للتقرب من المتصوفة القادرية من جهة، ومن جهة أخرى يستعرض الخدمات التي قدمها هؤلاء لها.

Qadiriyah Sufis and French colonial policy in sub-Saharan Africa in the twentieth century

Dr. Al Mahdi Mohi El Din

Higher Institute of Studies

Received:
25/10/2024

Accepted:
30/10/2024

Published:
1/12/2024

Keywords:
Kunta – Qadiriyah – Sufism – Sub-Saharan Africa .

Journal of African Studies
volume (2)
Issue (17)
Jumada al-Awwal 1446 H

Absrract

Abstract in English: The eighteenth and nineteenth centuries are an important stage in the history of Kunta and the western country of Sudan, where Sheikh Mukhtar Al-Kunti and Ahmed Al-Bakai took over the leadership of the Qadiriyah and the tribe order, and their efforts resulted in restructuring the method again in two new branches affiliated with them, Ali was called the branch of Sheikh Al-Mukhtar Al-Qadiriyah Al-Mukhtaria, while the branch of Sheikh Ahmed Al-Bakai was known as Al-Qadiriya Al-Bakai, and in the era of these two prominent branches, the Kuntian became influential in the political, economic, religious, spiritual and social fabric On the map of the country of Al-Baydan and Sudan, and this position France tried in the twentieth century to take advantage of it to dominate sub-Saharan Africa and exploit its natural and human resources, so it bet on getting closer to the sheikhs of Kunta through the diplomatic method and temptations so that they receive their help in the implementation of their imperialist projects, and this work is of scientific importance, manifested in that it monitors the Sufi policy formulated by France to get closer to the Sufis Qadiriyah on the one hand, and on the other hand reviews the services provided by these people.

تقديم:

إن تحول الحركة الصوفية إلى قوة سياسية وعسكرية في شمال وغرب إفريقيا، أثار مخاوف فرنسا وحليفتها الاستعمارية بريطانيا من أن تتسبب تحركاتها في إفشال مشاريعها، ومخططاتها الاستعمارية، وقد كان كوبولاني من أوائل من لفت انتباه الإدارة الاستعمارية في دراسته عن الطرق الصوفية، عندما أبان بأن إشعاعها الديني المتعاظم يشمل مناطق شاسعة بتوزعها في سلسلة من الطوائف بعضها في شمال إفريقيا، وبعضها الآخر له حضور في معظم بلاد العالم الإسلامي، وأوعز أن السر وراء بروز دورها السياسي يكمن في قدرتها الروحية والدينية التي بفضلها استطاعت أن تراكم سلطة وقوة مادية جعلتها متمتعة بتنظيم محكم وقوي وحاضرة في قلب المشهد السياسي بفعالية.[١]

ولا غبار في أن تنبيه كوبولاني قد ضخم من خطورة تأثير وأدوار الطرق، ومن ضمنها القادرية، انطلاقا من عملها الجهادي ضد الغزو الاستعماري الذي يفرضه المعطى الديني، لذلك سخرت فرنسا إمكانيات مادية وتنظيمية وبشرية هائلة من أجل جمع معلومات عن التنظيمات الصوفية ومبادئها، لتسهيل دراستها ومعرفة الخطر الذي تشكله، لاتخاذ السبل اللازمة، حتى لا يتوقف تقدم المشروع الاستعماري،[٢] الشيء الذي أثمر بروز سياسة استعمارية تجاه المتصوفة، يصطلح عليها السياسة الإسلامية لفرنسا،[٣] التي كان هدف منها عدم معاداة المتصوفة واتخاذ أسلوب المواجهة ضدهم

---

(١) الطالب أخيار بن الشيخ ماميناً، **الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي**، الجزء الثاني، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، مطبعة بني ازناسن، الطبعة الأولى ٢٠٠٧، ص ١٥٦.

(٢) جيجيك زروق، **المرابطون والطرق الصوفية في الجزائر من خلال كتابات الفرنسيين**، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة الجلالي ليباس ـ سيدي بلعباس ـ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١٤ ـ ٢٠١٥م، ص ٤٧.

(3) Bah (T. M), Cheikhs et marabouts Maghrébins prédicateurs dans l'adamawa (Nord Cameroun), institut des études africaines - Rabat, 1995, p 20.

والمساس بمقدساتهم ورمزية الشيوخ، بل على العكس من ذلك كانت تنادي بشدة إلى إقحام المتصوفة كفاعلٍ أساس في قلب سياستها الاستعمارية من خلال اتخاذهم أعوانا ومنفذين لبعض المهام والعمليات واستغلال سلطتهم على عدد كبير من الأتباع لتحقيق مصالحها الاقتصادية والتجارية وتمرير مشاريعها الكبرى في عمق إفريقيا جنوب الصحراء دون خسائر مادية أو معنوية، وفي هذا الصدد سنسعى إلى الإجابة على إشكالية قصوى، تتجلى في إلى أي حد استطاعت السياسة الاستعمارية احتواء شيوخ التصوف القادري في إفريقيا جنوب الصحراء؟

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الإشكالية تتولد عنها بعض التساؤلات من أهمها ماهي الأسس الفكرية التي تقوم عليها السياسة الاستعمارية تجاه المتصوفة؟ وماهي رموز القادرية التي وقعت في حبائل هذه السياسة؟ وما الخدمات التي قدمتها لسلطات الاستعمار الفرنسي؟

ولمقاربة الإشكالية السالفة والتساؤلات المرتبطة بها، اخترنا دراستها في محورين أساسين، المحور الأول ركزنا فيه على تسليط الضوء على الصنيع العام للأحداث الذي هو السياسة الاستعمارية، حيث تفتح نتائجها عن باب المحور الثاني، المتمثل في الشيوخ الذي ارتبطوا بفرنسا وجزئيات الخدمات التي قدموها للمستعمر.

١ – سياسة فرنسا لاحتواء الزعامات الصوفية:

توصلت المدرسة الكولونيالية العلمية الفرنسية، ممثلة في بول مارتي وفريديريك دولاشابيل (F.De La (Chapelle، التي اتخذت من أرض البيظان مخبرا لتجاربها النظرية، إلى إن التاريخ البيظاني على وجه الخصوص، يصنع بناء على علاقة عدائية بين البربر المتحضرين والعرب المعادين لكل فرصة تطور وتقدم.[١]

(١) رحال بوبريك، الصحراء الأطلنتية من خلال الكتابات الفرنسية نموذج فريديريك دولاشابيل F.De La Chapelle، ضمن مجتمع الصحراء في الكتابات الاستعمارية، تنسيق وتقديم رحال بوبريك، المطبعة السريعة، الطبعة الأولى ٢٠١٠، ص ٧٤ – ٧٥.

إن هذا التنافر الأزلي، الذي ساد بين الكتل القبلية الكبرى في الصحراء، استغلته سلطات الاحتلال، كفجوة لاختراق المنطقة، تحت ذريعة فرض الاستقرار، الذي عجز عن فرضه شيوخ المنطقة، وكذلك إشعار رأيها العام الفرنسي بأهمية الاستعمار وضرورة دعمه،(١) إذ تقرر لها أنه لا سبيل للسيطرة المحكمة القليلة التكلفة، إلا بالاعتماد على إحدى تلك الكتل القبلية، وكسبها إلى جانبها وتسخيرها لتجسيد الأجندة الاستعمارية واستغلالها في التزود بالمعارف عن المنطقة وسكانها من جميع الجوانب. وفي الوقت نفسه منعها من التمرد وحمل السلاح ضدها، وبالمناسبة فقد كان فيدريب سنة ١٨٩١م،(٢) أول المخططين لاحتلال بلاد البيظان، إذ طرح فكرة استخدام القوة لكسر المقاومة،(٣) والإعانات السنوية، كخطوة فعالة في كسب حياد القبائل المغربية وقادتها في الصحراء،

(١) محمدو بن محمذن، الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى (الدوافع والعراقيل)، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ٢٠، السنة ٢٠٠٣، ص ١٦٢ – ١٦٣.

(٢) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تنامى الحضور الفرنسي في غرب إفريقيا، فجاء الإعلان عن تأسيس فيدرالية إفريقيا الغربية الفرنسية، ومعه ظهرت الحاجة الملحة في ضرورة معرفة ودراسة الإسلام، لذلك تمت الاستعانة بالضابط العسكري لوشاتليي (Le Chatelier)، للقيام بهذا الدور في إفريقيا الغربية، نظرا لخبرته الكبيرة التي راكمها في مجال الإسلام خلال الفترة التي قضاها بالجزائر، حيث ساهم في تعميم المعرفة عن الوضع الديني بمجتمعات غرب إفريقيا من خلال تأسيسه لمجلة العالم الإسلامي. كما وجه الحاكم العام للجزائر جول كامبون (Cambon)، جمعا من المتخصصين في الترجمة والمرشدين من الجزائر اتجاه إفريقيا الغربية والاستوائية لجمع المعرفة عنها، والذي تحت إشرافه أثمر تعاون كسافييه كوبولاني(Coppolani) وأوكتاف دوبون (Depont) عن إخراج عمل فريد حول الطرق الصوفية الإسلامية، كان بمثابة خريطة طريق للسلطات الاستعمارية، استخلص لها السر المساعد لها بفعالية على تحقيق الهيمنة، الذي كان هو التقرب ومحاباة شيوخ الطرق الصوفية. عباد أحمد وصالح بوسليم، موقف الاستعمار من المدارس القرآنية وشيوخ الصوفية في غرب إفريقيا، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد العاشر، العدد١، مارس ٢٠١٩، ص ٨٧.

(٣) محمد المختار ولد السعد، الأرستقراطية الدينية والسلطة السياسية الأميرية التروزية في مواجهة التوسع الاستعماري الفرنسي في القرن ١٩، ضمن الإسلام والمقاومات والدولة في إفريقيا الغربية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ـ الرباط، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٣، ص ١٣٤.

غير أنه بعد مجيء كوبولاني في نهاية القرن ١٩م، بدل من سياسة سلفه العسكرية المكلفة،[١] التي لم تفلح في احتلال الصحراء، إذ ظلت إلى حدود نهاية تسعينيات القرن التاسع عشر خارجة عن السيطرة الفرنسية،[٢] في الاعتماد على القادة المحاربين، كقوة محلية لحماية تجارتهم، لصالح زعماء الطرق الصوفية، انطلاقا مما توصل إليه في كتابه الطرق الصوفية، الذي يحدد فيه أن الصحراء جنوب المغرب، هامش حيوي أكثر من المراكز،[٣] تعطي أهمية أساسية للطرق الصوفية.[٤] لذلك قرر الفرنسيون الاستثمار في الدين والفكر للوصول إلى قلوب الناس والتقرب من طائفة التصوف الأكثر شهرة

(١) عين فيدرب (Faidherbe)، كحاكم للسنغال سنة ١٨٥٤م، لتنفيذ الخطة الاستعمارية المتمثلة في تشكيل إمبراطورية استعمارية فرنسية، بتوحيد المستعمرات الفرنسية في إفريقيا الممتدة من الجزائر إلى السنغال، فاتخذ الأسلوب العسكري أداة لذلك. ولابد من الإشارة إلى سياسته الاستعمارية المعتمدة على القوة العسكرية في التوسع، فرضتها الإمبراطورية الثانية والتي كان على رأسها نابليون الثالث، إذ كانت ترغب بشدة في نهج سياسة عسكرية للربط بين مستعمراتها الإفريقية. محمد عبد الرحمن ولد عمار، السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا على عهد فيدهرب Faidherbe، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران ـ الجزائر، العدد ١٤ ـ ١٥، السنة ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص٢٣٨ ـ ٢٣٩. كما لا ننسى أن هذه السياسية الاستعمارية العسكرية، اتخذتها فرنسا لتفرض نفوذها على منافسيها من الدول الاستعمارية في إطار التسابق على المستعمرات، وكذلك حتى تضمن بالقوة مصالح الاستفادة الاقتصادية لتجارها وشركاتها الصناعية. عطية مخزوم الفيتوري، دوافع وخصائص الاستعمار الفرنسي وتأثيراته السياسية على شمال إفريقيا وجنوب الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة الثانية عشر ١٩٩٠، ص ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٢) جوزيف كام، **المستكشفون في إفريقيا**، ترجمة وتعليق السيد يوسف نصر، راجعه محمد علي وقاد، دائرة المعارف، القاهرة – مصر، مطابع سجل العرب، ١٩٨٣، ص ٢٠٦.

(٣) سويلام بوغدا، الرحلات الأجنبية إلى الجنوب المغربي خلال القرنين ١٩ و٢٠ أهميتها ومساهمتها في تدوين تاريخ الصحراء، **ضمن المكون الثقافي الحساني في امتداداته المغربية الإفريقية**، منشورات جمعية مدرسي التاريخ والجغرافيا بالعيون، الطباعة المطبعة والوراقة الوطنية مراكش ـ المغرب، الطبعة الأولى ٢٠٢١، ص ٧٣.

(4) Bonte (P), La politiques coloniale le française et les ahl shaykh ma al – aynin. Jihad et résistance tribales, archivos, numéro 11, 2011, p 5.

ونفوذا وجعلها في جانبها، كأداة لتمرير خططها وأهدافها،[١] وقد تمت معاملتها معاملة خاصة، تنم عن الاحترام والتبجيل، وهذا ما يبدو من كلام كوبولاني قائلا: **"أنه لا يأتي عن طريق الانتقاص لاضطراب طريقة عيشهم ومهاجمة دينهم"**.[٢] كما تكلفت كذلك فرنسا بمساعدتهم على نقلهم إلى الحج محافظة لهم على شعائرهم الدينية، ودعمت التعليم الإسلامي التقليدي ومدارسه وشجعت المسؤولين الاستعماريين المدربين في اللغة العربية والترجمة لفهم عميق لحيثيات حياتهم.[٣]

وبهذا ستساعد السياسة الإسلامية لفرنسا المحددة بالفعل في عمل وممارسة

(١) تمحورت سياسية كوبولاني الاستعمارية على ضرورة معرفة نفسية وأفكار أهل الصحراء أكثر من معرفة خصوصيتها الجغرافية، إذ أخطر سلاح استعمله، كان يتمثل في استغلاله الصبغة الشرعية التي كانت لدى الصوفية لمعرفته الواسعة بقضايا الإسلام، حيث كان مقتنعا بشدة على فاعلية استخدام وسائل الحوار، والإقناع في إخضاع الشعوب أكثر من وسائل الحرب، والقمع العسكري المكلفة، والتي تكون ردود الفعل الناتجة عنها أقوى. ونذر لتحقيق الاستعمار بنجاح إلى احتواء زعماء التصوف، لأن افتعال المواجهة معهم يزيد من شعبيتهم ونفوذهم وتكون نتائج ذلك عكسية، وقد سنحت له الفرصة بنقل هذا الفكر من الورق إلى الواقع، حينما أنيطت له مهمة ترأس بعثة إلى منطقة الساحل في جنوب بلاد شنقيط، وإلى السودان الغربي سنة ١٨٩٨م، لإخضاع شعوبها، بأمر من ترنتنيان(Trantinian)، الحاكم الفرنسي للسودان (مالي). محمد يحيى بن حبيب الله، الحركة الإصلاحية في بلاد شنقيط (موريتانيا) بين الاستجابة للاستعمار الفرنسي ودفاعه من خلال بعض الفتاوي والوثائق، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، مطبعة بني يزناسن – سلا، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، ص ٢١٤ ـ ٢١٥ – ٢١٦.

(2) Coppolani (X), Mauritanie Saharienne (novembre 1903 à mai 1904) mission d'organisation des territoires du Tagant, suivi de l'opposition des traitants du Sénégal à l'action de Coppolani par Geneviève Désiré - Vuillemin, l'harmattan, Paris, 1999, p 17.

(3) Sanneh (L), Religion politics and the islamic response: a comparative intellectual critique with special reference to Nigeria, in islam résistance et état en Afrique de L'Ouest XIXe et XXe siècles, institut des études africaines, Rabat, imprimerie Najah El jadida - Casablanca, première édition 2003, p 441.

كوبولاني على تعزيز وزن قبائل الزاويا في مجتمع غرب الصحراء،[١] إذ وضعت كنتة في صلب اهتمامات سياسته المعروفة «**بالمخطط الإجمالي لتنظيم القبائل البيظانية**»، للسيطرة على الأقاليم الصحراوية من وادي درعة إلى نهر السنغال،[٢] نظراً لما لمسه من ريادة في أدوارهم على جميع المستويات، ورفعة مكانتهم بين باقي الشرائح الاجتماعية؛ لذلك أمل فيهم النجاح لخدمة مشروعه، وكان يعتقد أيضا أن تحالفه ودعمه للزوايا يمكن أن يصير عكس ما يصبو إليه، بحيث يتحول إلى مقدمة لتوحيد صفوف المسلمين ويضع في متناولهم السلاح للمواجهة.[٣]

أبانت هذه الخطوة عن عدم رغبة فرنسا في هدم الهياكل الدينية. بل الاحتفاظ بها للاستفادة منها في التهدئة وتعميم الاحتلال، فستعان كوبولاني في مبتدأ مشواره سنة ١٩٠٥م،[٤] بخدمات الشيخ سعد بوه والشيخ سيديا، بعدما توفق في استمالتهما بإغرائهما

---

(1) Bonte (P) et Helene Claudot-Hawad, Savoirs et pouvoirs au Sahara formation et transformation des élites du monde Nomade chez les Touaregs et les Maures, in L'Ouest Saharien la trajectoire anthropologique de Pierre Bonte, centre des études sahariennes, coordination, Anass Ben Cheikh et Abdelhamid Faiz, 2017, p 126.

(٢) أكناته ولد النقره، **الطوارق من الهوية إلى القضية**، المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الاستراتيجية، المطبعة طوب بريس ـ الرباط، ٢٠١٤، ص ٨١.

(3) Boubrik (R), saints et société en islam la confrérie ouest saharienne Fadiliyya, CNRS édition, Paris, 1999, p 147 - 148 - 150.

وتحسبا لذلك ألزمتها السلطات العليا للاحتلال بالخضوع لمجموعة من الإجراءات، حتى تظل تعمل تحت مجهر مراقبتها، إذ قيدت حريتها في التنقل داخل وخارج بلادها بواسطة ترخيص فرنسي، يحصل عليه المشايخ بناء على طلب يتقدمون به إلى الإدارة الاستعمارية، يتضمن أسباب التنقل ومساره والأماكن المتوقع النزول بها. ومن ضبط منهم أخل بهذه الالتزامات، يتعرض للعقاب المادي والمعنوي. انظر علي بدوى علي سلمان، الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا ١٩٠٣ – ١٩٦٠، رسالة لنيل شهادة الماستر، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ٢٠٠٣، ص ٨١ – ٨٢.

(٤) سيد أحمد ولد عبد القادر ولد خو، هكذا كانت سياسة الشيخ سيد المختار الكنتي ١٧٣٠م

بالاستفادة، إن تعاونا مع الفرنسين ماديا وسياسيا في المنطقة. كما منح لقبائل الزوايا وثيقة، تبرز دفاعهم عنهم. وهكذا اعتمد الفرنسيون في تطبيق سياستهم الاستعمارية بموريتانيا على بعض شيوخ التصوف، وجعلوا جميع الإداريين والجنود في الترارزة على اتصال معهم، حتى يسهلوا من مهمتهم وتلقى النجاح المنشود.(١) وعليه أتاحت هذه السياسة لسلطات الاحتلال بالصحراء حلفاء خدموا أهدافهم الاستعمارية، وساهموا في تفريق عدة تجمعات معادية لهم.(٢)

تجدر الإشارة إلى أنه وقع اختيار السلطات الاستعمارية على إقحام كنتة في تسيير دواليب الإدارة داخليا، طبقا لمميزاتها، هذا ما يبوح به أحد رجالات الاستعمار الفرنسيين الذين احتكوا بكنتة قائلا: **"هذا ويجب الامساك بكنتة بقوة تحت السلطة الحكومية وهم أذكياء نشيطون ومن كبار أرباب القوافل وهم التجار مهرة نجدهم على كل طرق السودان.**

كما نجدهم من ناحية أخرى في الشرق حتى الاير وغرباً حتى المحيط الأطلسي وهذه النفسية المحبة للربح وهذا الاندفاع في جمع المال هما ضمانات جدية في لعبتنا ولكن يجب أن نحسب حساب طبيعتهم القلقة المخادعة والمعادية أحيانا وكذلك لدهائهم كذوي ألسنة معسولة ولكن لا يمكن السيطرة عليهم بصورة حسنة إلا من خلال قيادة محلية منهم تكون مخلصة لنا كليا وبعلاقات ممتازة ودمثة مع شيوخهم وعن طريق تحديد شديد لمواطنهم في الانتجاع وأخيرا عن طريق استغلال وتطوير قدراتهم التجارية وحول

/ ١١٤٢هـ / ١٨١١م / ١٢٢٦هـ، ضمن الأدب المقاوم في القارة الإفريقية، ملتقى عيون الأدب العربي – الدورة التاسعة: دورة الشيخ سيدي المختار الكنتي، منشورات جمعية النجاح للتنمية الاجتماعية العيون، المطبعة والوراقة الوطنية مراكش، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م، ص ٣٨٨.

(1) Boubrik (R), saints, op.cit, p 152 - 153.

(٢) النقيب غاستون دوفور، تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا ق ١٧ – ١٩٢٠، تعريب وتعليق المقدم محمد المختار ولد محمد ولد بيه، الناشر مكتبة القرنين ١٥/ ٢١، انواكشوط – موريتانيا، الطبعة الأولى ٢٠١٢، ص ٦٥.

هذه النقطة تكون أولى التدابير التي يجب اتخاذها هي استبعاد كل ارهاق جمركي واداري وتقديم بعض الأموال في بعض الحالات وتأمين التسهيلات لحصولهم على المؤن وإنشاء مدارس بدوية ونوعا ما مهنية".[١]

٢ – الرموز القادرية في الخدمة الفرنسية

نقف في هذا الجانب على الأسماء البارزة لبعض زعماء الطريقة القادرية، الذين وقعوا في حبال الدولة الفرنسية، بإبراز محطات تفاعلهم معها والخدمات، التي أسدوها لها طيلة فترات التوافق، التي جمعتهم معها والتعرف على غرضهم الأساسي من ذلك.

والمعروف أن عملهم في مساندة الاستعمار كان مبررا بتبريرات شبيهة إلى حدٍّ كبيرٍ بتلك، التي طرحها الناصري في كتابه الاستقصا[٢] والتي طرحتها فرنسا في صلب رسالتها الحضارية إزاء إضفاء هامش من الشرعية على مشاريعها الاستعمارية، وعلى المبررات التي نجحت بها في استمالتهم،[٣] إذ اعتبروا أن الحكم الفرنسي غاية همه مساعدتهم في تغيير الأوضاع بغرب إفريقيا، التي لم يتوقف فيها العنف والفوضى لسنوات عديدة إلى جانب افتقارها للمصالح والبنى التحتية الهائلة وهشاشة الحكم

---

(١) بول مارتي، **كنتة الشرقيون من عرب مالي والنيجر**، تعريب وتعليق محمد محمود ولد ودادي، نواكشوط – موريتانيا، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، بدون تاريخ الطبع، ص ١٦٩.

(٢) نقلا عن إزيد بيه بن محمد محمود، **الزوايا في بلاد شنقيط في مواجهة الاستعمار الفرنسي فصول في التاريخ السياسي الموريتاني الحديث**، المطبعة الوطنية، طبعة ١٤٢٢ه/ ٢٠٠١، ص ٢٦٩.

(٣) يظهر هذا الحكم من خلال تصفح رسالة كوبولاني إلى الشيخ سعد بوه، إذ بنفس المبررات التي أقنعه بها، راح هو الآخر يطرحها على راعاياه لإقناعهم في الموالاة لفرنسا. موسى كمر، **المجموع النفيس سرا وعلانية في ذكر بعض السادات البيضانية والفلانية**، الجزء الأول، تحقيق وتعليق الناني ولد الحسين، منشورات الزمن، مطبعة بني ازناسن، سلا ـ المغرب، طبعة ٢٠١٥، ص ١٧٣ ـ ١٧٤. وقد ضمن تلك المبررات في مؤلفات وجهها إلى أبناء محيطه الاجتماعي، محاولا إقناعهم بضرورة التخلي عن الجهاد والخضوع لفرنسا، كمؤلفيه مجموع الرسائل والفتاوى التي ترد على مناوئيه في مسألة موقفه من الفرنسيين الجواب المبين الجواب المحتوم للمنكر علينا في أمر الروم والنصيحة العامة والخاصة في منع محاربة أفرانصه. إزيد بيه بن محمد محمود، المرجع السابق، ص ١٩٧ ـ ١٩٨.

المركزي المسؤول عن تنظيم الحياة اليومية للسكان،[١] الذين سهر هؤلاء على وضعه، إلى إقرار مظاهر الأمن والعدالة والازدهار الاقتصادي والحرية الدينية، دون الالتفات إلى الجوانب الأخرى، التي يستهدفها الاستعمار من استنزاف اقتصادي واستغلال اجتماعي.[٢]

يحق القول، أن العناصر التي دخلت في خدمة المستعمر وأجمعت على مساعدته وعدم الوقوف حجرة عثراء أمام زحفه العسكري، كانت تأخذ بالمقاصد، كالشيخ سعد بوه في التعامل مع الاستعمار وكانت تعتبر خطر الاستعمار تحصيل حاصل لا يمكن إيقافه،[٣] إلى جانب أنها كانت تتلقف الحجج المتعلقة بتفوق المستعمر عسكريا للتأثير في الفئات الأخرى التي حبذت خيار المواجهة معتبرة أن الظرفية تلزمها بذلك وأنها باقية على دينها الإسلامي، حتى تضمن لنفسها ولمتلكاتها الأمان، وعدم التعرض لها بالأذى، والمكيدة، ورفضت هجرة أرضها التي حل بها المستعمر، حيث لم تعتبرها أرض

---

(1) Wuld Al - Bara (Y), Les théologiens Mauritaniens face au colonialisme Français étude de fatwa-s de jurisprudence musulmane, in le temps des marabouts itinéraires et stratégies islamiques en Afrique Occidentale Française v.18801960-, David Robinson et Jean - Louis Triaud éditeurs, Ghislaine Lydon assistante éditoriale, éditions karthala, Paris, 1997, p 89.

(٢) محمد الأمين ولد سيد أحمد، فقهية الحرب والسلم والمتاجرة مع الأوروبيين (بحث في رؤى فقهاء البيظان في الوجود الأوربي في بلادهم)، **مجلة دراسات موريتانية**، الناشر المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد ١، السنة ٢٠١٢، ص ٨٧ – ٨٨. والخليل النحوي، **بلاد شنقيط المنارة والرباط عرض للحياة العلمية والاشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٧، ص٣٣٠.

(٣) أحمد الشايخي، التصوف الحضري بمجال وادي الذهب الكويرة ـ المركز السعدي للتصوف السني، ضمن دراسات في تاريخ التصوف بالجنوب المغربي الأصول النظرية والممارسات العملية، منشورات مركز أزايكو للدراسات والأبحاث في التاريخ والعلوم الاجتماعية وكلية الآداب والعلوم الإنسانية، أعمال مهداة إلى الأستاذ الدكتور محمد المازوني، تنسيق ذة لطيفة شراس ـ ذ البشير أبرزاق ـ ذ رشيد أزلف، طباعة So - Mi print، الطبعة الأولى ٢٠٢١، ص ٣١٤.

كفر، لأنها كانت تعيش في ظل حرية دينية ولم تفرض عليها المسيحية. وسعت العناصر الموالية لكي تتهرب من المسؤولية وتبين أنها مجبرة على ذلك. كما ذهب الشيخ سعد بوه من خلال رسالته إلى أخيه ماء العينين الموسومة بالنصيحة إلى توضيح أنه حاول في عدة مراحل الخروج من خدمة الفرنسيين، ونبذ صداقتهم ومعاكسة أوامرهم التوسعية، إلا أنهم هددوه بالانتقام، وإنزال الخراب ببلاد المسلمين، ونهب ممتلكاتهم وإهانة زوجاتهم، وبهذا ارتأى بحكم مراعاته للمصلحة العامة إلى التحرك وفقا لأهوائهم مكرها، مذكرا أخاه ماء العينين بما لقيه الزعماء السابقين من مصير قاس من جراء معارضتهم، ومحاربتهم للوجود، والمشاريع الفرنسية. ألا يكون الشيخ سعد بوه بهذا الأسلوب لا يقصد سوى التنصل بمكر عن واجب المقاومة ويدافع عن محبته لفرانس لي ويضعف من عزيمة المقاومين؟[١] ومن شيوخ كنتة الذين خدموا فرنسا نشير إلى:

الشيخ بو كنته (١٨٤٠ – ١٩١٤م): صاحب زاوية أنجاسان القادرية في السنغال، يعتبر من بين أفراد العائلات الدينية والأرستقراطية الكنتية في صحراء إفريقيا، خاصة في بلاد كايور التي ساندت الجنرال فيدهيرب في حملاته العسكرية وفي غزوه لمنطقة كايور في الفترة المتراوحة ما بين ١٨٦٠ – ١٨٨٦م[٢]. كما لبى رغبة فرنسا في تلبية حاجياتها من المحاربين خلال فترة الحرب العالمية الأولى، إذ دفع بابنه إلى الدخول في خدمة الجيش الفرنسي بالمحاربة على جبهات القتال لصالحهم.[٣] وبهذا كان مرتبطا بعلاقة ودية مع

---

(1) Ould Abdallah (D), Guerre sainte ou sédition blâmable ? nasiha de Shaikh Sa'd Buh contre le jihad de son frère Shaikh Ma Al -Ainin, in le temps des marabouts itinéraires et stratégies islamiques en Afrique Occidentale Française v.18801960-, David Robinson et Jean - Louis Triaud éditeurs, Ghislaine Lydon assistante éditoriale, éditions karthala, Paris, 1997, p 120 - 121 - 124 - 128 - 148.

(٢) عباد أحمد وصالح بوسليم، موقف الاستعمار، المرجع السابق، ص ٩٦.

(٣) عائشة بومدين، الصوفية والسياسة في السنغال، **مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل**، المجلد الأول ـ العدد الثالث، السنة ٢٠١٨، ص ٢٨٩.

الإدارة الاستعمارية جعلت روادها في إفريقيا الغربية، يعترفون إيجابا بأدواره وصداقته وإخلاصه لهم ولدولتهم.[١]

الشيخ سيديا بابا: من أوائل العلماء الموالين لفرنسا أظهر تحيزا لها من خلال التبريرات، التي صاغها في أعماله اللاهوتية، التي تقر بالضرورة على شعوب غرب إفريقيا، التقرب والتعايش مع فرنسا، كخيار وحيد أمامها للتحضر، ولإقناع الذين يخالفونه هذا التوجه، استهل ذلك بتشخيص الوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الإفريقي قبل وصول المستعمر، حيث كان يعاني من حالات التدهور والفوضى الشاملة، إذ يذهب إلى القول بأن الناس كانوا يقتلون بعضهم البعض، وما كان لمثل هذه الهمجية أن تنقطع، إلا بحلول الهجمة الاستعمارية، التي سهرت على حماية الممتلكات. ويرى أن المقاومين لا ينظرون إلى الاستعمار، إلا بالعين السلبية والخطورة في تأثيره على الأمة ولإشاعة موقفه الداعم للاحتلال الفرنسي كتب رسالة بأسلوب حجاجي ذات بعد لاهوتي، كان المغزى منها التأكيد على منافع فرنسا في ضبط الأمن وتحقيق العدالة على الرغم من أنها سلطة غير مسلمة وأشار إلى أن مساعدة فرنسا في القضاء على التمردات واجب من منطلق إصلاح المجتمع، ومحاربة الفوضى، وتفادي المجازر بغاية تحقيق ما عجزت عنه الساكنة المحلية من ضمان للظروف المعيشية الحسنة، ورأى أن في قتال الفرنسيين مضيعة للوقت، ولا يجدي نفعا، لأن البنية المحلية مختلة في ظل عدم وجود سلطان قوي وتوفر بيت المال وأسلحة عصرية، واعتبر أن مجموع فتوى وأحكام العلماء،[٢] مبنية على التعصب والميل للروح الوطنية التي ترفض الأجنبي. وفي

---

(١) سعيد حراش، **الإسلام والمسيحية والعبادات التقليدية في إفريقيا الغربية بدايات ومسارات**، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، الطبعة الأولى ٢٠١٦، ص ١٥٢.

(٢) برع بذكاء نافذ الشيخ سيديا في توظيف النصوص الدينية والشرعية في سبيل تحقيق مهادنة المستعمر. إزيد بيه ولد محمد محمود، الشيخ سيدي باب.. الوزن الاجتماعي والسياسي وهم السلطة المركزية، **ضمن الشيخ سيدي الموروث الثقافي والأدبي (١١٩٠ ـ ١٢٨٤ه) (١٧٧٦ ـ ١٨٦٨م)**، دار الكتب العلمية ودار المخطوط العربي، أعمال ندوة بوتلميت، جمعه أحمد ولد هارون، الطبعة الأولى ٢٠١١، ص ١٩٣.

نظره أن المصلحة المحلية مرتبطة بمدى التوافق مع فرنسا ومهادنتها، ولتدعيم فكرته لم يكف عن إعطاء أمثلة حية مستمدة من الواقع، حيث يرى أن الأرض التي تقع تحت سيطرة الأمم المسيحية في إفريقيا الغربية، تنعم بالأمن وتمارس فيها الواجبات الدينية، حيث المستعمر يوفر للمسلمين ظروف السفر للحج. كما تمتاز بشروط الحياة الملائمة، في حين أن المجالات الإفريقية التي تأخرت السيطرة عليها تعاني من انعدام الأمن موبوءة بقطاع الطرق كبلاد البيظان، التي زيادة عن ذلك تفتقر إلى البنيات التحتية وتتخبط في التخلف. ومعلوم أن الشيخ سيديا بابا نشط في شن حملة دعائية تساهم في إخضاع السنغاليين للإرادة الفرنسية.[١]

ظهر بصحبة كوبولاني في احتفال بسانت لويس عام ١٩٠٢، ثم سافر معه على طول النهر. وفي الترارزة أصدر الفتوى، وبعدما اغتيل كوبولاني سنة ١٩٠٥، وكان بجانب هنري غورو الرجل الذي أكمل غزو موريتانيا الوسطى والجنوبية، وأقام معه تعاونا فعالا. كما انضم إلى سعد بوه[٢] في سانت لويس لحضور اجتماع في مكتب الحاكم، وشارك في حملة الدعاية الكبيرة للإعلان عن التهدئة، مباشرة بعد الاجتماع، وأبدى

(1) Wuld Al- Bara (Y), Les théologiens Mauritaniens, op.cit, p 109 - 111 -112 - 113.

(٢) الشيخ سعد أبيه ولد سنة ١٨٨٤م ولد في منطقة الحوض الشرقي من موريتانيا، ظهرت علامات النبوغ على الشيخ سعد بوه منذ صغره، فصار عالما وشاعرا ومؤلفا. استمد التصوف عن والده الشيخ محمد فاضل بن مامينا، تنقل بين جهات مختلفة من موريتانيا قبل أن يتجه إلى منطقة الجنوب الغربي الموريتاني (القبلة) بأمر من والده لنشر الورد الفاضلي القادري. كما خاض رحلات علمية خارج بلاده، خصوصا صوب السنغال التي كان له فيها أتباع كثر. ومن مؤلفاته الفيض الوهبي على آية الكرسي وتعجيز البرهان في تحريم الشم والدخان ومجمع البحرين فيما يقع بين اثنين، اشتهر بدافعه عن الاستعمار الفرنسي وقدم له مجموعة من التسهيلات. توفي في بلدة النمجاط الواقعة إلى الجنوب الشرقي من العاصمة أنواكشوط عام ١٩١٧م. محمد الأمين أن باريك، العالم المتصوف الموريتاني الشيخ سعد أبيه: حياته ودوره في ضفتي نهر السنغال ١٢٦٥هـ-١٣٣٥هـ/ ١٨٤٨ -١٩١٧م، **مجلة البحوث التاريخية**، جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة، العدد الرابع، السنة ٢٠١٨، ص٧٢ -٧٣ -٧٤ -٧٩ -٨٠.

استعدادا وحماسا في مساعدة الفرنسيين في كل شيء يطلبونه منه من مواقف صعبة، مثل مراقبة المتصوفة أحمد بامبا، كي لا يحرمهم هذا الأخير من التصرف في حوض الفول السوداني الجديد، في كايور الشرقي (Cayor) وباول (Paol) الذي يعتبر جزءا حيويا في الاقتصاد الاستعماري.[١]

وضع تحت تصرف قوات الاحتلال الفرنسي الخيم والأكواخ، قصد استغلالها في السكن، وتخزين أسلحتهم وأمتعتهم وذخائرهم، وسبق له أن أكرم وفادة كوبولاني وجنوده بالذبائح ومواد التموين، وصاحبه في تنقلاته، ولم يبخل عليه بالنصائح، ناهيك عن التوسط بينه وبين القبائل المحلية، الممانعة لسياسته ووجوده بينها، إلى جانب ذلك مدَّه بجيشٍ كان من أفراد قبيلته لأجل دعم حركته التوسعية، وحمايته من العمليات المقاومة المضادة له. كما أن أحاسيسه كانت تميل إلى تقدير فرنسا، والاعتزاز بإنجازاتها، ومشاركتها الفرحة والسرور، حيث غبط بخروجها منتصرة من الحرب العالمية الأولى، ولم يتمالك نفسه معترفا بذلك في رسائل وقصائد كتبها خصيصا لتهنئة الدولة الفرنسية[٢].

محمد البكاي: عقد علاقة مع فيدريب، أساسها التقارب من أجل تأمين سلامة تجارته في المناطق الخاضعة للفرنسيين.[٣] كما اعترف ديفرييه بعد رحلته الاستكشافية سنة ١٨٦٠م، بالحماية والمساعدة التي قدمها له حتى صار يعده صديقا له.[٤]

---

(1) Robinson (D), Sociétés musulmanes et pouvoir colonial Français au Sénégal et en Mauritanie 1880 - 1920 parcours d'accommodation, éditions karthala, Paris 2004, p 287 - 297 - 303 - 304.

(٢) محمد يحيى بن حبيب الله، الحركة الإصلاحية في بلاد شنقيط، المرجع السابق، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٤.

(٣) محمد ظريف، الطريقة الكنتية البكائية الأسس والأسس والوظائف، **ضمن التصوف المغربي مصدر إشعاع وتواصل**، أعمال مهداة للأستاذة نفسية الذهبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة، تنسيق المصطفى البوعناني وعبد العزيز بلفايدة ومحمد الغرايب وبوجمعة روايان، مطابع الرباط نت، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص ٥٠٦.

(٤) التليلي العجيلي، دور بعض مشائخ الطرق الصوفية ومساعدة الفرنسيين على استكشاف الصحراء الإفريقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، **المجلة التاريخية المغربية للعهد (الحديث والمعاصر)**،

محمد سيدي المختار: استضاف في مخيمه الرحالة الفرنسي روني كايي (René Caillié)، حيث تعهد بضمان أمنه، وسلامته وسط محيطه القبلي، واتفق معه على تلبية احتياجاته، وأن يعتني بتعليمه.(١)

محمد بن عم البكاي: قدم خدمات ثمينة لدوفريي سنة ١٨٦١م، حيث شارك في بعض رحلاته الاستكشافية،(٢) من خلال الاستجابة لمطالب الملازم الفرنسي بيرو (Perot)، حيث أعان ركب ترحاله في مهمته الاستكشافية للمناطق الصحراوية الواقعة شرق بلاد السينغال. كما زوده بالمعلومات الضرورية لاستئناف رحلته إلى تنبكت والجزائر.(٣)

حمادي: تكمن مساعدته للفرنسيين في التدخل في إخضاع قبائل الشمانمس بالقوة،(٤) مما ساعد على تهدئة قبائل إيلمدن والرقيبات وأولاد دليم، للحد من هجماتها وخصوماتها، وقد شارك أيضا في حملات تأديبية ضد قبائل الرقيبات دعما للملازم الفرنسي (Loloraine) لولورين، التي على إثرها قد قتل سنة ١٩١٢م،(٥) وأقسم على القرآن مع فيرهون على عدم التحارب والتنازع، والخضوع لسلطة ووساطة قائد موقع تنبكت في حالة الخصومة، وأعاد تسليم الفرنسيين كل ما سبق أن نهبه منهم من المواشي

العدد ٥٣-٥٤، السنة السادسة عشر، ١٩٨٩، ص ١٥٦.

(1) Caillié (R), Le voyage à Tombouctou et à travers l'Afrique (1824 – 1828), publie par Jacques Boulenger, libraire plon, Paris, 1932, p 20 - 21.

(٢) بول مارتي، كنتة الشرقيون، المرجع السابق، ص ١٠١.

(٣) محمد ظريف، الطريقة الكنتية، المرجع السابق، ص ٥٠٦ -٥٠٧.

(٤) بول مارتي، كنتة الشرقيون، نفسه، ص ١٥٨.

(٥) محمد ظريف، الطريقة الكنتية، نفسه، ص ٥٠٧. ومحمد الظريف، **الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية ١٨٠٠ -١٩٥٦**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٢، ص ١١١.

(الإبل والثيران والحمير والأغنام)، ومجازاة له أسقط على كنتة تأدية الرسوم الضريبية.[١]

أوكلت له قوات الاحتلال الفرنسي مهمة إضعاف قبيلة إيلمدن التي ظلت تشكل أمامهم قوة كبرى، زودوه لأجل ذلك بأربعين بندقية سريعة الطلقات من العتاد الحربي، تنفيذا لهذه المهمة، التي كانت نفعية بالنسبة لحمادي أيضا، فنشبت في سياق ذلك معركة إنتاسيت، ثم معارك تيغيريرت التي خلفت خسائر بشرية كبيرة في صفوف فرعان من قبيلة إماجورن كل تيغيوالت وكل آرا ١٩٠٥م، الشئ الذي جعل قبيلة إيلمدن ترضخ لمطالب الفرنسين، ففي سنة ١٩٠٨م، أقيم اجتماع احتضنته أزواد بين المسؤولين الفرنسين (تريكس والنقيب بريرون والملازم لايبي)، وزعيم إيلمدن فيهرون، الذي قبل الإملاءات الفرنسية في إنشاء موقع عسكري بميناكا.[٢]

الشيخ سيديا الكبير: كانت ولادته تقديرا في سنة ١٨٧٠، تكلفت عائلته بتلقينه أساسيات التعليم الأولي بين أحضانها، ثم سرعان ما انتقل إلى محيطه القبلي، تعزيزا لمستواه التعليمي، إذ حل بقبيلة إدوعلي التي أمضى بها سبع سنوات سمحت له بدراسة العلوم الدينية وعلم تفسير القرآن، وبعدها شد الرحلة إلى قبيلة لبراكنة، حيث أنفق أربع سنوات من عمره في سبيل دراسة القانون والقواعد. كما نهل معارف أخرى من جهات قبلية مختلفة كتكانت وتيشيت، إلى أن استوفى تعليمه، وعندها توجه إلى ولاتة، راغبا في مصاحبة الشيخ المختار الكنتي، والاستفادة من علمه وبركته، بيد أن وفاة هذا الأخير، عاقته عن تحقيق هدفه، فاضطر إلى المكوث بين الكنتيين لمدة خمسة عشرة سنة، حتى حصل على إجازة تثبت بلوغه مرتبة المقدم.[٣]

---

(١) بول مارتي، كنتة الشرقيون، نفسه، ص ١٥٩.

(٢) بوكاري سيسي، فيهرون آخر قائد لجماعة إيويلمندن، ترجمة محمد وقيدي، ضمن الحضارة الإسلامية في مالي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ص١٩٦.

(٣) بول مارتي، **دراسات حول إسلام البيضان: الشيخ سيدي، الفاضليون، إدوعلي**، ترجمة سويلام بوغدا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة ابن زهر، المطبعة والوراقة الوطنية مراكش، الطبعة

ومن أبرز الخدمات، التي قدمها للاستعمار الفرنسي، عند موالاته لرجالاته، تيسيير الأمر أمام الفرنسيين لاحتلال منطقة أدرار وتكانت، وتقديمه كل الاستشارات السياسية والحربية لكوبولاني. كما ساهم بفاعلية في احتلال الفرنسيين لمناطق، كانت تدخل ضمن المناطق الأشد مقاومة بطريقة سلمية، ولم يرضخ لمطالب أصدقائه، ومعارفه في الانقلاب على الفرنسيين.(١)

تدخل لإخبار القوات الاستعمارية بشأن الهجمات القبلية القادمة،(٢) ونزل عند رغبة كوبولاني، وأفتى سنة ١٩٠٣م، في شأن مدى إقدام المسلمين على محاربة النصارى المجاورين لهم على أرضهم، رغم احترام هؤلاء لمقدسات المسلمين، ومساعدتهم في ممارستها بتوظيف قضاة، تضمنت إجابة سيديا نفي سلوك مهاجمة المسلمين للنصارى في حالة احترام معتقداتهم الدينية. كما أن إجابته لسيده الأجنبي، تشخص وضع المسلمين الذين صاروا ضعفاء مغلوبين على أمرهم، لا كلمة تجمعهم، ولا قدرة لهم على حرب النصارى.

ومن هذا المنطلق، فالشيخ سيديا يدعم خيار الارتباط بالاستعمار، واحترام أعلامه من ضباط وأساقفة،(٣) ثم خدمته مشاريعه التوسعية، وقطع الأمل في النزوع إلى معارضته للتفوق عليه،(٤) زيادة على ذلك مد يد العون للجنرال هنري غورو

الأولى ١٤٤٣ه/ ٢٠٢٢، ص ١٣ - ١٤.

(١) بول مارتي، دراسات حول الإسلام، المرجع السابق، ص ٣٤- ٣٥.

(٢) شغالي حريش، **القبيلة والسلطة في التاريخ السياسي للصحراء**، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، طبعة 2017، ص 107.

(3) Gouilly (A), L'islam dans l'Afrique occidental française, édition la rose, Paris, 1952, p 104.

(٤) خديجة الراجي، «إخبار الأحبار» أو العالم في خدمة المشروع الاستعماري، ضمن مجتمع الصحراء في الكتابات الاستعمارية، تنسيق وتقديم رحال بوبريك، المطبعة السريعة، الطبعة الأولى ٢٠١٠، ص٩٨.

Gouroud) (Henri، في غزو موريتانيا، ودافع عن مشروعية التحاق شباب موريتانيا والسنغال بصفوف الجيش الفرنسي للمحاربة إلى جانبه في الحرب العالمية الأولى.[١] ومن الممكن أن يكون وضع بعض الوثائق من مكتبته الغنية تحت تصرف النخبة العلمية الفرنسية.[٢]

سعد بوه: كان من أوائل الشخصيات التي تم الاتصال بها من لدن الفرنسيين،[٣] عندما انتقل إلى الجزء الجنوبي الغربي للصحراء، وهو لازال لم يتعد العشرين من عمره، وتعددت أشكال مساعدته لهم[٤] في العشرين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر،[٥]

---

(١) عباد أحمد وصالح بوسليم، موقف الاستعمار، نفسه، ص ٩٦ –٩٧.

(٢) وفقا للمسح الموضوعي والإحصائي الذي قام به ماسينيون، كانت مكتبة الشيخ سيديا التي آنذاك، كان يحفظها حفيده الشيخ سيديا الصغير، تضم ما مجموعه ١١٩٥عملا، منها ٥١٢ مخطوطة و٦٨٣ مطبوعة. كما عمل ستيوارت Stewart من جانبه عرض قائمة الأعمال التي جلبها الشيخ القادري من رحلته المغربية، والتي بلغ عددها ١٧٠ عملا.
Ould Cheikh (A. W), Anthropologie/ou histoire entre oralité et écriture, **in L'ouest Saharien la trajectoire anthropologique de Pierre Bonte**, centre des études sahariennes, coordination, Anass Ben Cheikh et Abdelhamid Faiz, 2017, p 106.

(3) Ould Cheikh (A. W), Al-Sayh Sa'd Buh: vie et ouvre, in le Cheikh des deux rives"celui qui prend les armes s'éloigne de la vertu" Cheikhna Cheikh Saad Bouh, centenaire du rappel à dieu de Cheikhna Saad Bouh (1848 - 1917), presses universitaires de Dakar, 2017, p 31.

(٤) على الرغم من ذلك، روج عنه الفرنسيون صورة قبيحة من قبيل، أنه كان سمينا يحتاج اثني عشر رجلا لإنزاله من البعير بفعل بدانته المفرطة. كما قالوا بخصوصه إنه لم يعد بإمكانه ركوب عربات قطار سانت لويس للقيام بجولته السنوية في حوض الفول السوداني، وكان ماديا دفعه جشعه إلى أن يتوسل إليهم باستمرار للحصول على مساعدة إضافية.
Robinson (D), Sociétés musulmanes, op.cit, p 257.

(5) Boubrik (R), saints, Ibid, p 150. et Robinson (D), Sociétés musulmanes et pouvoir, Ibid, p 258.

إذ زودهم ببعض مخطوطاته، التي تجمع معلومات مهمة عن منطقته، حتى يتمكنوا من هجاء الأسماء البربرية والسودانية الأصل التي بها أخطاء إملائية،[١] كان قد قدمها إلى المسؤول الإداري (Theveniant)، ونشرت بعد ترجمتها إلى الفرنسية في عام ١٩١١ تحت عنوان كرونولوجيا موريتانيا السنغالية ناصر الدين. كما دعم سياسة التهدئة التي دشنها كوبولاني[٢] في الاعتماد على الصوفية قبل بداية الاحتلال العسكري لموريتانيا، حيث أيده في مشروعه، فبحكم نفوذه، الذي يطال مكان استقراره في موريتانيا وعلاقاته الجيدة مع القبائل المحلية في السنغال العليا ومنطقة الساحل،[٣] كانت تدخلاته تضمن حماية تنقل الأجانب في الصحراء.[٤]

وفي هذا الإطار، استعان به سنة ١٨٧٩م سوليي[٥] (P. Soleiller) المكلف

(1) Hamet (I), Chroniques de la Mauritanie Sénégalaise: Nacer - Eddine texte Arabe traduction et notice, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1911, p 15 - 16.

(2) Robinson (D), Sociétés musulmanes et pouvoir, Ibid, p 277 - 279.

(3) Delafosse (M), Haut - Sénégal - Niger (Soudan Français), Tome III, première série, le pays - les peuples - les langues - l'histoire - les civilisations, éditeur Émile la rose libraire, Paris, 1912, p 194.

(4) Ould Cheikh (A. W), S.sa 'd Buh : un self made man confrérique ?, in questionner l'actualité du message de Cheikhna Cheikh Saad Bouh (1848 -1917), Dakar - Sénégal, 2017, p 8.

(٥) تميز بشغف كبير في اختراق مجاهل إفريقيا، وتمكين بلاده فرنسا من موطئ قدم في عمق القارة الإفريقية، وشرف السيادة الحضارية والتجارية عليها، إذ أظهر لفرنسا أهمية التجارة الصحراوية التي يعود وجودها إلى العصور الوسطى. خاض في الاستعداد للانطلاق في رحلته إبان سنة ١٨٦٦م، بمطالعة الكتب المهتمة بالجزائر والقارة الإفريقية على عدة مستويات ثقافية، ثم أخذ في تعلم كل ما سيفيده في رحلته. وتجدر الإشارة إلى أن صولييه قام بثلاث رحلات طيلة حياته ذات خلفية تجارية، ففي رحلته الثالثة سنة ١٨٧٨م توجه من باريس إلى عين صالح، ثم باتجاه السودان الغربي، حيث توقف صوب سيكو بإفريقيا الوسطى، مدفوعا برغبة استخباراتية، مفادها التعرف على اتجاهات المسارات التجارية للناحية الغربية للنيجر. كما اهتم في رحلته بتجميع المعلومات الدقيقة التي تخص

بإنجاز دراسة لإنشاء خط السكك الحديدية، والربط بين الجزائر والسنغال، لحمايته من القبائل المتربصة به، أثناء أطوار تنفيذ مهامه الاستكشافية، وقد وقف على تحريره من أولاد دليم، إذ يقول في ذلك ليون فابرت (Leon Fabert): **"أنقذ سوليت عام ١٨٧٩ من يد أولاد دليم أفتقر إلى المساحة لأروي هنا التحقيق الذي قامت به البعثة وقريب من شهود العيان في هذا الحادث الذي لا ينسى كل ما يمكنني قوله هو أنه إذا كانت حياة المسافر الشهير تنطوي على أكبر قدر من المخاطر فمن غير الصحيح تماما أنه نهب وقد أحضرت رزمته من السلع معه إلى الشيخ سعد بوه وتبرع لهذا المرابط كرمز للامتنان كل ما امتلكه"**.[١] إذ قاموا بذلك ثأرا على أسر النصارى اثنين من تكنة،[٢] وأعاد له ممتلكاته المتكونة من ثلاث قطع غينية وأربعين قطعة ذهبية ومجموعة من البغال والجمال، وصندوقا من القرنفل ومجموعته الجغرافية المتكونة من بعض النباتات

مملكة سيكو في علاقاتها الاقتصادية مع السودان الشرقي، وقد أثمرت رحلته الخروج بمجموعة من المعطيات المعرفية، أهمها أن مساحة الصحراء بين الجزائر والسنغال بقدر مساحة أوروبا باستثناء روسيا، ويشهد على أنه كانت بها تجمعات بشرية وأنشطة زراعية متمركزة حول الواحات وعلى سطحها مجاري مائية لأودية كسوف ووادي ميزاب. انظر عبد القادر مرجاني، **السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن ١٩م**، أطروحة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس ـ سيدي بلعباس كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، السنة الجامعية ١٤٤٠ -١٤٤١ه/ ٢٠١٩ -٢٠٢٠، ص ٤٢ - ٤٣. ورفاف شهرزاد، الاستكشافات الأوروبية للصحراء الجزائرية من القرن ١٩م، **مجلة مدارات تاريخية**، المجلد الأول، عدد خاص أفريل ٢٠١٩م، ص ١٩٤ ـ ١٩٥. وكانت فرنسا تنوي الاستفادة من هذه المعلومات في دراسة مشروع الاتصال بين الجزائر والسنغال، وداخل السودان لشق طرق سككية تربط بين الجزائر وداكار وسان لويس وباماكو. انظر

Vuillot (P), L'exploration du Sahara étude historique et géographique, chez Augustin Challamel éditeur, librairie coloniale, Paris, 1985, p 174.

(1) Fabert (L), Voyage au pays des Trarzas et dans le Sahara Occidental, (bsg), société de géographie, Paris, 1892, p 384.

(٢) بول مارتي، قبائل موريتانيا العليا، ترجمة أنوزلا – المهدي الهامل – سويلام بوغدا، طبعة ٢٠١٨، ص ٢٧.

والصخور في ٢٠ مارس ١٨٨٠م، ونصحه بعدم المغامرة بالتنقل في المناطق الداخلية، لاسيما أدرار،[١] وسلمه رسالة تقيه شر من يقع تحت قبضتهم، وتدخل كذلك لنجدة فابرت، من تهديدات أمير الترارزة عمرو سليم بن محمد لحبيب ت ١٨٩٣م. لكن التدخل الأكثر صعوبة، الذي خاطر بنفسه، بتواجده بين القبائل المعادية لفرنسا، هي المساعدة، التي قدمها إلى جيونو جمبتا (Juinot Gambetta)،[٢] وبلانشيت،[٣] في عام ١٨٩٠م، وهو في مهمة استكشاف، على الرغم من أنه أرسل معه أحد أبنائه،[٤] إلا أنه حوصر من قبل أمير أدرار المختار ولد أيدا وفقد عددا كبيرا من رفاقه، ولم ينجح في إطلاق سراحهم، إلا بالفدية، التي كلفته ٢٨٠٠ فرنك،[٥] وكذلك فابير، الذي يدعوه

(١) محمد بن شوش، التوسع الفرنسي في السنغال وموقف القوى المحلية منه ١٨٥٠ - ١٩١٩م، أطروحة الدكتوراه، جامعة الجزائر - ٢ - بوزريعة، السنة الجامعية ١٤٣٣ - ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٢ - ٢٠١٣م، ص ٣١٤.

(٢) إلهام محمد علي ذهنى، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي ١٨٥٠ - ١٩١٤، دار المريخ للنشر، ١٩٨٨، ص١٩٧.

(٣) كانت الصحافة الفرنسية، تتبع وقائع البعثات الاستكشافية بما تورده في أعمدتها، مثلما ما حصل ما بعثة بلانشيه الاستكشافية، التي كانت آخر بعثة موجهة إلى موريتانيا قبل أن تجتاحها القوات الفرنسية، والتي كان أهم هدف في جدول أعمالها، هو التنقيب عن مناجم نترات الصوديوم والذهب، التي وصفتها بقضية بلانشيه نحو أدرار في أوائل القرن العشرين، من خلال مقال تولى كتابته أستاذ العلوم الطبيعية بجامعة السوربون دريمس في صحيفة ليمانتيه L'humanite في عددها رقم ١٣٣٧ بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩٠٧م، كانت فكرته الرئيسية الاهتمام بإبراز جهود الشيخ سعد بوه المتعددة لتحرير أفراد البعثة (ثلاثة فرنسيين بلانشيه ودريمس وغامبتا والترجمان محمدن ولد أبنو المقداد رحمه الله وبعض الرماة السنغاليين ومرافقين آخرين) من الأسر. انظر سيدي أحمد ولد الأمير، المجال الموريتاني مقالات في التاريخ والثقافة، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، طبعة ٢٠١٤، ص٢٠٠.

(4) Richet (E), La Mauritanie, Émile la rose libraire éditeur, Paris, 1912, p 125.

(5) Ould Mahfoudh (H), La confrérie Kadiriya en Mauritanie et la pénétration colonial 1900 - 1924 : (quelques aspects de l'attitude théorique et pratique

سيدي فابير، كان قد استضافه في منزله، وحرره من طوق أسر أهل أدرار بالفدية.[١]

شملت أدواره، كذلك تقديم الدعم لكوبولاني، الذي رافقه في العديد من جولاته،[٢] ومنح المساعدات المادية لسلطات الاحتلال، حيث قدم عددا من الجمال، أو الثيران للجنود الفرنسيين،[٣] ولم تستثنه سلطات الاحتلال من إقحامه كوسيط[٤] في مهمة إقناع أخيه ماء العينين بالتوقف عن المقاومة، حيث لم يتردد في نصحه بالانحياز إلى صفوف الفرنسيين، وربط أدرار بعلاقات تجارية مع مراكزهم الموجودة في السنغال،[٥] معتبرا أن مسألة مجابهتهم ميؤوس منها. بل عمل انتحاري،[٦] بسبب الفارق الحضاري وقوة المعدات الحربية الفرنسية، التي عاينها مباشرة في سانت لويس،[٧] ويلتمس منه محاكاة سيرة والدهما الشيخ محمد فاضل، التي تدعو إلى منع حمل السلاح، حتى يكون أكثر مسالما.[٨]

---

des Shaykhs favorables à la colonisation), Revue Basamat, n 05, Revue de la faculté des lettres et des sciences humaines Ben M'SIK, nouvelle série, dossier l'art et la pensée, 2009, p 145.

(١) الرائد افرير جان، **موريتانيا ١٩٠٣ - ١٩١١ قصص مغامرات وجولات وحروب في بلاد البيظان**، تقديم وتعليق جنفييف ديزيري فييمن، بدون دار النشر والمطبعة وسنة الطبع، ص ١٢٨ - ١٢٩.

(2) Ould Mahfoudh (H), La confrérie Kadiriya, op.cit, p 145.

(3) Boubrik (R), saints, Ibid, p 151 - 153.

(4) Gouilly (A), L'islam, op.cit, p 101.

(٥) نور الدين بلحداد، مظاهر جهاد الشيخ ماء العينين في ظل المخزن المغربي، ضمن الشيخ ماء العينين فكر وجهاد، تنسيق النعمة على ماء العينين، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٤٢١ه/ ٢٠٠١م، ص ٧٩.

(6) Ould Abdallah (D), Guerre sainte, op. cit, p 120.

(7) Boubrik (R), saints, Ibid, p 161 -164.

(8) Ould Abdallah (D), Guerre sainte, Ibid, p 121.

خاض في تلميع صورة الفرنسيين لدى القبائل المناوئة لهم لنيل مبتغاه، في تغيير تصورهم تجاه الاحتلال،[١] ويذكر عنه اتصاله أيضا بالإسبان في جنوب شرق بير عجيلة (Bir Ajayla)، إذ عبد لهم طريق دخولهم إلى وادي الذهب.[٢]

الشيخ سيديا الصغير: ظلَّ في علاقة توافقية بعيدة عن العداء[٣] مع الحكومة الفرنسية في السنغال، أبان من خلالها عن الإخلاص التام لكوبولاني،[٤] إذ توطد ارتباطه بالمصالح الفرنسية منذ سنة ١٩٠٠م، حيث أضحى يتدخل لإزاحة العوائق، التي تعترض خدام الاستعمار من الأجانب، فإلى جانب سعد بوه، كان يعمل على إنقاذ مهمة بلانشيت في أدرار، وكان أيضا من المقربين لكوبولاني ما بين سنتي ١٩٠٢ و١٩٠٥م، إذ رافقه في مهمته الأولى لإحباط أي محاولة لمقاومة اختراق الاستعمار إلى الترارزة والبراكنة وجرجول [٥](Gorgol)، إلى درجة أن بول مارتي اعتبره يده اليمنى أو مستشاره الأول،[٦] وتقاسم معه مخططات فكره منذ السنوات الأولى على تعيينه، حاكما بموريتانيا، وقدم له كل ما يحتاج من دعم مادي وحربي للنجاح في تهدئة المنطقة المكلف بإدارتها. ومن الأمثلة على ذلك بشهادة الفرنسيين نورد ما يلي: **"الشيخ سيديا**

---

(١) محمد الظريف، الحركة الصوفية، المرجع السابق، ص ١٣٣ - ١٣٤.

(2) Ezeiza (M), The roots of the Spanish occupation of the Moroccan Sahara 1860 - 1912, in Moroccan Sahara memory narratives and present challenges, publisher sidi Mohamed Ben Abdellah university, translator El Houcine Ouazzani Ibrahimi, printing house solprint - Fes, édition 2017, p 116.

(3) Le Chatelier (A), L'islam dans L'Afrique Occidentale, G.Steinhel éditeur, imprimerie A -G Lemale Havre, Paris, 1899, p 326.

(٤) أحمد منكى الزاياني، حركة المقاومة المعينية محاولة تأسيس فعل المواجهة الشعبية بين الضغط الاستعماري واضطراب الوضع المخزني، **ضمن الشيخ ماء العينين فكر وجهاد**، تنسيق النعمة على ماء العينين، مطبعة النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٤٢١ه/ ٢٠٠١م، ص ٩٩.

(5) Ould Mahfoudh (H), La confrérie Kadiriya, Ibid, p 145.

(٦) بول مارتي، دراسات، المرجع السابق، ص ٥٥.

رجل الزوايا الأكثر إخلاصا للفرنسيين، أثناء إقامتنا في بوتلميت قدم لنا الشيخ سيديا ما يربو عن ١٠٠٠ جمل ولم أر في حياتي مثل هذا العدد من الإبل وكلها جمال للركوب وحمل أمتعة القافلة التي سترافق بعثة كبولاني".[١] وبحكم تفانيه في خدماته المقدمة لفرنسا، حظي بين جميع المفوضين الحكوميين، وجميع قادة دائرة الترارزة بصفات الثناء، خاصة عندما رفض ما جاء في رسائل ماء العينين الموجهة له بقصد الانقلاب على الفرنسيين.[٢]

يرى الفرنسيون أن مساعدة الشيخ سيديا لهم تعود بالأساس إلى رغبته في الاستفادة من احتلالهم لآدرار وتكانت، كي يتولى السيادة عليها روحيا وقبليا،[٣] والمعروف أنه بفضل جهود الشيخ سيديا تنازل جمع كبير من المناضلين عن فكرة المقاومة، ومنهم زعيم قبيلة الترارزة، أحمد ولد الديد ابن الأمير محمد فال المتوفى سنة ١٨٨٦م، فضلا عن أدواره في الفصل بين النزاعات القبلية المحلية، التي كانت تؤدي إلى عدم الاستقرار، وتمس بأمان الفرنسيين. كما لعب دور الوساطة في إقناع بعض القبائل بضرورة الموالاة لفرنسا لتحسين أوضاعها الاقتصادية، وأشار على فرنسا في مراحل عدة بالحذر في تعيين الشيوخ وإبعاد المصطنعين للطاعة، تمويها منهم لمعاكسة أهدافها، والاقتصاص من أعوانها على حين غرة. ولقد أملى على الفرنسيين إن أرادوا كسر حركة المقاومة، وبسط نفوذهم على كامل الصحراء، لا مناص لهم من اكتساح أدرار مربط المرابطين للاحتلال،[٤] واستنكر العدوان، الذي يشنه ماء العينين وأتباعه من قاعدة أدرار معتبرا إياه عملا غير ضروري، ولا شرعي مادام الفرنسيون يحترمون

---

(١) الرائد افرير جان، موريتانيا ١٩٠٣ - ١٩١١ قصص مغامرات، المرجع السابق، ص١٧٢ - ٢٢٠.

(2) Richet (E), la Mauritanie, op.cit, p 132 - 133 - 203.

(٣) بول مارتي، دراسات، نفسه، ص ٥٥.

(٤) بول مارتي، دراسات، نفسه، ص ٥٦ - ٦٨ - ٦٩ - ٧١ - ٧٧ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨.

الدين الإسلامي،[١] ضمنه في رسالة بعث لهم بها.[٢]

باي بن سيدي عمر بن الشيخ سيدي محمد: مكنته درجته العلمية العالية وتقواه للصعود للزعامة الكنتية سنة ١٨٩٦م، ومنذ ذلك كون علاقة صداقة مع الفرنسيين اتضحت معالمها الودية، عندما لم يقم بأي عدوان ضد الزحف الفرنسي، وشجع كلا من إفوراس وطوارق الهقار على تجنب الصراع مع الفرنسيين، وتحت تأثيره كانوا يقصدون القرى الخاضعة للحكم الفرنسي للمتاجرة،[٣] وإكراما له على حسن صنيعه تم الاعتراف به من قبل الفرنسيين، كسلطة قضائية في المنطقة، على الرغم من أنه لم يكن، يشغل منصبا معينا[٤]. وفي سنة ١٩٠٢م، استقطبته السلطات الفرنسية، طرفا مساعدا في مشاريعها الاستعمارية حينما طلبت منه التدخل بغاية إطفاء نار المعارك الحامية بين القبائل التي تهدد تأثيراتها سلامة الوجود الفرنسي، ومصالحه بالصحراء، لم يعارض ونزل بثقله الوازن في إقرار الصلح بين طوارق طايطوك بأهانيت وطوارق أدرار إفوغاس، فطوت وساطته صفحة ذلك التناحر وسكنت الأوضاع.[٥]

---

(1) Gouraud (C(, La pacification de la Mauritanie, journal des marches et opérations de la colonne de l'Adrar, comite de L'Afrique Française, Paris, 1910, p 156.

(2) Gouraud (G), Mauritanie Adrar souvenirs d'un Africain, laibraira plon, Paris, 1945, p 204.

(٣) بول مارتي، كنتة الشرقيون، نفسه، ص ١٣٢ - ١٣٣.

(4) Hunwick (J .O), Arabic literature of Africa, volume 4, the writings of western Sudanic Africa, Brill-Leiden-Boston, 2003, p 68.

(٥) محمد ولد الشيخ، الشيخ باي الكونتي ١٨٦٥ - ١٩٢٩م، ترجمة محمد وقيدي، **ضمن الحضارة الإسلامية في مالي**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو، ١٤١٧ه/ ١٩٩٦م، ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

الخلاصة:

إن خوف فرنسا من التنظيمات الطرقية لاسيما القادرية في إفريقيا جنوب الصحراء على مستوى الجهاد وعرقلة المشاريع الاستعمارية التي تأمل في تحقيقها، وكذا رغبتها في الاقتصاد في الأرواح، وفي المصاريف حتى تحقق هامش كبير من وراء الاستعمار، لأن هذا الأخير في حقيقته مشروع اقتصادي بالأساس، الغاية الكبرى منه جني أرباح كبرى في نهاية المطاف أكثر مما خصص له من مصاريف مالية وطاقات بشرية جريا لتنفيذه. وإزاء هذا تقربت فرنسا بإيعاز من رجالات العلم الاستعماري والاستخباراتي من شيوخ القادرية خصوصا، بإغرائهم بالامتيازات المادية والإدارية السامية، فنجحت في جعل العديد منهم في صفها وخدمتها، حيث عن طريقهم توصلت لمعارف مهمة عن مختلف جوانب إنسان وأرض القارة الإفريقية جنوب الصحراء، كما ساعدوها في فك أساراها من القبائل المحلية وكانوا على رأس البعثات العلمية كمرافقين لمعرفتهم بسبل الطرق وصعوبتها، وحماة للمشاريع الاقتصادية والطرقية الفرنسية من هجمات القبائل. وعموما تظل سياسة احتواء التصوف إلى جانب آليات سياسية أخرى من أبرز السياسات التي أعانت فرنسا بفاعلية في الهيمنة والاستفراد بنفوذ كبير داخل القارة الأوروبية بالمقارنة مع باقي ما سيطرت عليه الدول الإمبريالية الأخرى، نتيجة أنها عرفت كيف تستظل بظلهم الخدماتي والرمزي والمعرفي لتحقيق غاياتها الاستعمارية

المصادر والمراجع:

المصادر:

١. كمر (موسى)، المجموع النفيس سرا وعلانية في ذكر بعض السادات البيضانية والفلانية، الجزء الأول، تحقيق وتعليق الناني ولد الحسين، منشورات الزمن، مطبعة بني ازناسن، سلا ـ المغرب، طبعة ٢٠١٥.

المراجع باللغة العربية:

٢. بلحداد (نور الدين)، مظاهر جهاد الشيخ ماء العينين في ظل المخزن المغربي، ضمن الشيخ ماء العينين فكر وجهاد، تنسيق النعمة على ماء العينين، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٣. بن الشيخ مامينا (الطالب أخيار)، الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي، الجزء الثاني، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، مطبعة بني ازناسن، الطبعة الأولى ٢٠٠٧.

٤. بن حبيب الله (محمد يحيى)، الحركة الإصلاحية في بلاد شنقيط (موريتانيا) بين الاستجابة للاستعمار الفرنسي ودفاعه من خلال بعض الفتاوي والوثائق، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، مطبعة بني يزناسن – سلا، الطبعة الأولى ٢٠٠٦.

٥. بن محمد محمود (إزيد بيه)، الزوايا في بلاد شنقيط في مواجهة الاستعمار الفرنسي فصول في التاريخ السياسي الموريتاني الحديث، المطبعة الوطنية، طبعة ١٤٢٢ه/ ٢٠٠١.

٦. بوبريك (رحال)، الصحراء الأطلنتية من خلال الكتابات الفرنسية نموذج فريديريك دولاشابيلF.De La Chapelle، ضمن مجتمع الصحراء في الكتابات الاستعمارية، تنسيق وتقديم رحال بوبريك، المطبعة السريعة، الطبعة الأولى ٢٠١٠.

٧. بوغدا (سويلام)، الرحلات الأجنبية إلى الجنوب المغربي خلال القرنين ١٩ و٢٠ أهميتها ومساهمتها في تدوين تاريخ الصحراء، ضمن المكون الثقافي الحساني في امتداداته المغربية الإفريقية، منشورات جمعية مدرسي التاريخ والجغرافيا بالعيون، الطباعة المطبعة

والوراقة الوطنية مراكش ـ المغرب، الطبعة الأولى ٢٠٢١.

٨. جان (الرائد افرير)، موريتانيا ١٩٠٣ - ١٩١١ قصص مغامرات وجولات وحروب في بلاد البيظان، تقديم وتعليق جنفييف ديزيري فييمن، بدون دار النشر والمطبعة وسنة الطبع.

٩. حراش (سعيد)، الإسلام والمسيحية والعبادات التقليدية في إفريقيا الغربية بدايات ومسارات، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، الطبعة الأولى ٢٠١٦.

١٠. حريش (شغالي)، القبيلة والسلطة في التاريخ السياسي للصحراء، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، طبعة ٢٠١٧.

١١. دوفور (النقيب غاستون)، تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا ق ١٧- ١٩٢٠، تعريب وتعليق المقدم محمد المختار ولد محمد ولد بيه، الناشر مكتبة القرنين ١٥/ ٢١، انواكشوط - موريتانيا، الطبعة الأولى ٢٠١٢.

١٢. ذهنى (إلهام محمد علي)، جهاد المالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي ١٨٥٠ -١٩١٤ ، دار المريخ للنشر، ١٩٨٨.

١٣. الراجي (خديجة)، "إخبار الأحبار" أو العالم في خدمة المشروع الاستعماري، ضمن مجتمع الصحراء في الكتابات الاستعمارية، تنسيق وتقديم رحال بوبريك، المطبعة السريعة، الطبعة الأولى ٢٠١٠.

١٤. الزاياني (أحمد منكى)، حركة المقاومة المعينية محاولة تأسيس فعل المواجهة الشعبية بين الضغط الاستعماري واضطراب الوضع المخزني، ضمن الشيخ ماء العينين فكر وجهاد، تنسيق النعمة على ماء العينين، مطبعة النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٤٢١ه/ ٢٠٠١م.

١٥. زروق (جيجيك)، المرابطون والطرق الصوفية في الجزائر من خلال كتابات الفرنسيين، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة الجلالي ليباس ـ سيدي بلعباس ـ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١٤ ـ ٢٠١٥م.

١٦. سلمان (علي بدوى علي)، الطريقة

القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا ١٩٠٣ - ١٩٦٠، رسالة لنيل شهادة الماستر، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ٢٠٠٣.

١٧. سيسي (بوكاري)، فيهرون آخر قائد لجماعة إيويلمندن، ترجمة محمد وقيدي، ضمن الحضارة الإسلامية في مالي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٨. الشايخي (أحمد)، التصوف الحضري بمجال وادي الذهب الكويرة ـ المركز السعدي للتصوف السني، ضمن دراسات في تاريخ التصوف بالجنوب المغربي الأصول النظرية والممارسات العملية، منشورات مركز أزايكو للدراسات والأبحاث في التاريخ والعلوم الاجتماعية وكلية الآداب والعلوم الإنسانية، أعمال مهداة إلى الأستاذ الدكتور محمد المازوني، تنسيق ذة لطيفة شراس ـ ذ البشير أبرزاق ـ ذ رشيد أزلف، طباعة Mi print-So ، الطبعة الأولى ٢٠٢١.

١٩. ظريف (محمد)، الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية ١٨٠٠ -١٩٥٦، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٢.

٢٠. ظريف (محمد)، الطريقة الكنتية البكائية الأسس والأسس والوظائف، ضمن التصوف المغربي مصدر إشعاع وتواصل، أعمال مهداة للأستاذة نفسية الذهبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة، تنسيق المصطفى البوعناني وعبد العزيز بلفايدة ومحمد الغرايب وبوجمعة روايان، مطابع الرباط نت، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٢١. كام (جوزيف)، المستكشفون في إفريقيا، ترجمة وتعليق السيد يوسف نصر، راجعه محمد علي وقاد، دائرة المعارف، القاهرة - مصر، مطابع سجل العرب، ١٩٨٣.

٢٢. مارتي (بول)، دراسات حول إسلام البيضان: الشيخ سيدي، الفاضليون، إدوعلي، ترجمة سويلام بوغدا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة ابن زهر، المطبعة والوراقة الوطنية مراكش، الطبعة الأولى ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢.

٢٣. مارتي (بول)، قبائل موريتانيا العليا، ترجمة أنوزلا - المهدي الهامل - سويلام بوغدا، طبعة ٢٠١٨.

٢٤. مارتي (بول)، كنتة الشرقيون من عرب مالي والنيجر، تعريب وتعليق محمد محمود ولد ودادي، نواكشوط - موريتانيا، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، بدون تاريخ الطبع.

٢٥. محمد بن شوش، التوسع الفرنسي في السنغال وموقف القوى المحلية منه ١٨٥٠ - ١٩١٩م، أطروحة الدكتوراه، جامعة الجزائر - ٢ - بوزريعة، السنة الجامعية ١٤٣٣ - ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٢ - ٢٠١٣م.

٢٦. مرجاني (عبد القادر)، السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن ١٩م، أطروحة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس ـ سيدي بلعباس كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، السنة الجامعية ١٤٤٠ -١٤٤١هـ/ ٢٠١٩ -٢٠٢٠.

٢٧. النحوي (الخليل)، بلاد شنقيط المنارة والرباط عرض للحياة العلمية والاشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٧.

٢٨. ولد الأمير (سيدي أحمد)، المجال الموريتاني مقالات في التاريخ والثقافة، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، طبعة ٢٠١٤.

٢٩. ولد السعد (محمد المختار)، الأرستقراطية الدينية والسلطة السياسية الأميرية التروزية في مواجهة التوسع الاستعماري الفرنسي في القرن ١٩، ضمن الإسلام والمقاومات والدولة في إفريقيا الغربية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ـ الرباط، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٣.

٣٠. ولد الشيخ (محمد)، الشيخ باي الكونتي ١٨٦٥ - ١٩٢٩م، ترجمة محمد وقيدي، ضمن الحضارة الإسلامية في مالي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٣١. ولد النقره (أكناته)، الطوارق من الهوية إلى القضية، المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الاستراتيجية، المطبعة طوب بريس ـ الرباط، ٢٠١٤.

٣٢. ولدعبدالقادرولدخو(سيدأحمد)، هكذا كانت سياسة الشيخ سيد المختار الكنتي ١٧٣٠م /١١٤٢هـ /١٨١١م /١٢٢٦هـ، ضمن الأدب المقاوم في القارة الإفريقية، ملتقى عيون الأدب العربي – الدورة التاسعة: دورة الشيخ سيدي المختار الكنتي، منشورات جمعية النجاح للتنمية الاجتماعية العيون، المطبعة والوراقة الوطنية مراكش، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.

٣٣. ولد محمد محمود (إزيد بيه)، الشيخ سيدي باب.. الوزن الاجتماعي والسياسي وهم السلطة المركزية، ضمن الشيخ سيدي الموروث الثقافي والأدبي (١١٩٠ ـ ١٢٨٤ه) (١٧٧٦ ـ ١٨٦٨م)، دار الكتب العلمية ودار المخطوط العربي، أعمال ندوة بوتلميت، جمعه أحمد ولد هارون، الطبعة الأولى ٢٠١١.

المجلات باللغة العربية:

٣٤. أحمد (عباد) وصالح بوسليم، موقف الاستعمار من المدارس القرآنية وشيوخ الصوفية في غرب إفريقيا، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد العاشر، العدد١، مارس ٢٠١٩.

٣٥. أن باريك (محمد الأمين)، العالم المتصوف الموريتاني الشيخ سعد أبيه: حياته ودوره في ضفتي نهر السنغال ١٢٦٥هـ -١٣٣٥هـ /١٨٤٨ -١٩١٧م، مجلة البحوث التاريخية، جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة، العدد الرابع، السنة ٢٠١٨.

٣٦. بن محمذن (محمدو)، الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى (الدوافع والعراقيل)، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ٢٠، السنة ٢٠٠٣.

٣٧. بومدين (عائشة)، الصوفية والسياسة في السنغال، مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل، المجلد الأول ـ العدد الثالث، السنة ٢٠١٨.

٣٨. شهرزاد(ورفاف)،الاستكشافات الأوروبية للصحراء الجزائرية من القرن ١٩م، مجلة مدارات تاريخية، المجلد الأول،

عدد خاص أفريل ٢٠١٩م.

٣٩. العجيلي (التليلي)، دور بعض مشائخ الطرق الصوفية ومساعدة الفرنسيين على استكشاف الصحراء الإفريقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، المجلة التاريخية المغربية للعهد (الحديث والمعاصر)، العدد ٥٣-٥٤، السنة السادسة عشر، ١٩٨٩.

٤٠. الفيتوري (عطية مخزوم)، دوافع وخصائص الاستعمار الفرنسي وتأثيراته السياسية على شمال إفريقيا وجنوب الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة الثانية عشر ١٩٩٠.

٤١. ولد سيد أحمد (محمد الأمين)، فقهية الحرب والسلم والمتاجرة مع الأوروبيين (بحث في رؤى فقهاء البيظان في الوجود الأوربي في بلادهم)، مجلة دراسات موريتانية، الناشر المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد ١، السنة ٢٠١٢.

٤٢. ولد عمار (محمد عبد الرحمن)، السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا على عهد فيدهرب Faidherbe، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران ـ الجزائر، العدد ١٤ ـ ١٥، السنة ١٤٣٥ه/ ٢٠١٤م.

المراجع باللغة الفرنسية:

43. Bah (T. M), Cheikhs et marabouts Maghrébins prédicateurs dans l'adamawa (Nord Cameroun), institut des études africaines - Rabat, 1995.

44. Bonte (P) et Helene Claudot-Hawad, Savoirs et pouvoirs au Sahara formation et transformation des élites du monde Nomade chez les Touaregs et les Maures, in L'Ouest Saharien la trajectoire anthropologique de Pierre Bonte, centre des études sahariennes, coordination, Anass Ben Cheikh et Abdelhamid Faiz, 2017.

45. Boubrik (R), saints et société en islam la confrérie ouest saharienne Fadiliyya,

CNRS édition, Paris, 1999.

46. Caillié (R), Le voyage à Tombouctou et à travers l'Afrique (1824 – 1828), publie par Jacques Boulenger, libraire plon, Paris, 1932.

47. Coppolani (X), Mauritanie Saharienne (novembre 1903 à mai 1904) mission d'organisation des territoires du Tagant, suivi de l'opposition des traitants du Sénégal à l'action de Coppolani par Geneviève Désiré - Vuillemin, l'harmattan, Paris, 1999.

48. Delafosse (M), Haut - Sénégal - Niger (Soudan Français), Tome III, première série, le pays - les peuples - les langues - l'histoire - les civilisations, éditeur Émile la rose libraire, Paris, 1912.

49. Fabert (L), Voyage au pays des Trarzas et dans le Sahara Occidental, (bsg), société de géographie, Paris, 1892.

50. Gouilly (A), L'islam dans l'Afrique occidental française, édition la rose, Paris, 1952.

51. Gouraud (C), La pacification de la Mauritanie, journal des marches et opérations de la colonne de l'Adrar, comite de L'Afrique Française, Paris, 1910.

52. Gouraud (G), Mauritanie Adrar souvenirs d'un Africain, laibraira plon, Paris, 1945.

53. Hamet (I), Chroniques de la Mauritanie Sénégalaise: Nacer - Eddine texte Arabe traduction et notice, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1911.

54. Le Chatelier (A), L'islam

Bouh (1848 1917 -), presses universitaires de Dakar, 2017.

57. Ould Cheikh (A. W), Anthropologie/ou histoire entre oralité et écriture, in L'ouest Saharien la trajectoire anthropologique de Pierre Bonte, centre des études sahariennes, coordination, Anass Ben Cheikh et Abdelhamid Faiz, 2017.

58. Ould Cheikh (A. W), S.sa 'd Buh : un self made man confrérique ?, in questionner l'actualité du message de Cheikhna Cheikh Saad Bouh (1848 -1917), Dakar - Sénégal, 2017.

59. Richet(E), La Mauritanie, Émile la rose libraire éditeur, Paris, 1912.

60. Robinson (D), Sociétés musulmanes et pouvoir dans L'Afrique Occidentale, G.Steinhel éditeur, imprimerie A -G Lemale Havre, Paris, 1899.

55. Ould Abdallah (D), Guerre sainte ou sédition blâmable ? nasiha de Shaikh Sa'd Buh contre le jihad de son frère Shaikh Ma Al -Ainin, in le temps des marabouts itinéraires et stratégies islamiques en Afrique Occidentale Française v.1880-1960, David Robinson et Jean -Louis Triaud éditeurs, Ghislaine Lydon assistante éditoriale, éditions karthala, Paris, 1997.

56. Ould Cheikh (A. W), Al-Sayh Sa'd Buh: vie et ouvre, in le Cheikh des deux rives ″celui qui prend les armes s'éloigne de la vertu ″ Cheikhna Cheikh Saad Bouh, centenaire du rappel à dieu de Cheikhna Saad

colonial Français au Sénégal et en Mauritanie 1880 1920 - parcours d'accommodation, éditions karthala, Paris 2004.

61. Vuillot (P), L'exploration du Sahara étude historique et géographique, chez Augustin Challamel éditeur, librairie coloniale, Paris, 1895.

62. Wuld Al -Bara (Y), Les théologiens Mauritaniens face au colonialisme Français étude de fatwa-s de jurisprudence musulmane, in le temps des marabouts itinéraires et stratégies islamiques en Afrique Occidentale Française v.1880-1960, David Robinson et Jean - Louis Triaud éditeurs, Ghislaine Lydon assistante éditoriale, éditions karthala, Paris, 1997.

- المجلات باللغة الفرنسية:

63. Bonte (P), La politiques coloniale le française et les ahl shaykh ma al –aynin. Jihad et résistance tribales, **archivos**, numéro 11, 2011.

64. Ould Mahfoudh (H), La confrérie Kadiriya en Mauritanie et la pénétration colonial 1900 - 1924 : (quelques aspects de l'attitude théorique et pratique des Shaykhs favorables à la colonisation), **Revue Basamat**, n 05, Revue de la faculté des lettres et des sciences humaines Ben M'SIK, nouvelle série, dossier l'art et la pensée, 2009.

- المراجع باللغة الإنجليزية:

65. Ezeiza (M), The roots of the Spanish occupation of the Moroccan Sahara 1860 1912 -, in Moroccan Sahara memory narratives and present challenges, publisher sidi Mohamed Ben Abdellah university, translator El

Houcine Ouazzani Ibrahimi, printing house solprint -Fes, édition 2017.

66. Hunwick (J .O), Arabic literature of Africa, volume 4, the writings of western Sudanic Africa, Brill-Leiden-Boston, 2003.

67. Sanneh (L), Religion politics and the islamic response: a comparative intellectual critique with special reference to Nigeria, in islam résistance et état en Afrique de L'Ouest XIX^{e} et XX^{e} siècles, institut des études africaines, Rabat, imprimerie Najah El jadida -Casablanca, première édition 2003.